الشاعر في التخلُّص من غرض إلى آخر ، ومن حيث ارتباط المعنى ونموه داخل البيت المفرد ، وإن كان في سبيل ذلك قد بالغ في عملية التجزئة ؛ جريًا وراء الإيجاز الأثير لدى القدماء جميعًا ، حتى إنه جعل أقلَّ الأبيات في عمود البلاغة (المرجلة) « التي يكمل معنى كل بيت منها بتمامه ، ولا ينفصل الكلام ببعض يحسن الوقوف عليه غير قافيته . »[1]

ويؤكِّد ابن طباطبا العلوي منهجيةَ الدِّراسة الشِّعرية ، مبتعدًا إلى حد ما عن الدراسة البلاغية ، ومعتمدًا على خبرته الخاصة التي اكتسبها من استيعاب فكر من سبقوه في هذا المجال من علماء الشعر ورجال البيان ، هذا بالإضافة إلى تَجْرِبَته الخاصة في مجال الإبداع الشعريِّ ، فجاء حديثُه في تعريف الشعر وصنعته قائمًا على المقاصد الواعية لا على الموهبة الفطرية وَحْدها . وعلى الرغم مما قاله من أن الشاعر يمخض المعنى نثرًا ثم ينظمه شعرًا – نجد أن إحساسه بموسيقى الشعر يرتبط بالصياغة ، بحيث يصعب الفصل بينهما .

وإذا كان ابن طباطبا قد اتَّجه إلى التأليف النقديِّ الخالص – فإن الطَّابَع العامَّ لم يأخذ هذا الشكل التخصُّصيَّ في جانب النقد أو البلاغة ، وإنما سارت المؤلَّفات تمزج مقاييس النقد بفنون البلاغة ومُصْطَلَحاتها . ويؤكد أبو هلال العسكري هذا المنزعَ في « الصناعتين » ، من خلال رصده لبحوث نقدية خالصة كالسَّرقات والمبادئ وحسن الخروج ، ومجاورتها لبحوث بلاغية خالصة كالتشبيه والاستعارة ، بالإضافة إلى صوره البديعية التي اكتشفها ، أو التي سُبِقَ بها .

---

(١) ثعلب : قواعد الشعر ، ص ٨٨ .